

بعد خروجه من غزة: الاحتلال يستخدم التطبيع كأداة في تصفية القضية الفلسطينية وتعزيز التعاون الأمني

فلسطين / إبراهيم السعيد

غزة والضفة الغربية وتحويلها إلى أماكن سكن ثابتة ومستقرة، وبذلك يتمويل دول الخليج العربي.

أهداف استراتيجية

إلى جانب الرهانات السياسية، فإن الدولة العبرية ترى أن التطبيع مع العالمين العربي والإسلامي سيساعد على تحقيق أهداف أمنية ذات طابع استراتيجي. وترى دوائر صنع القرار في الدولة العبرية أن التطبيع مع العالم العربي سيساعدها في محاصرة حركات المقاومة عبر تشديد الحصار عليها وتضييق منابع الدعم لها داخل الدول العربية عبر التضييق عليها، حيث تفترض الدولة العبرية أنه سيكون هناك تعاون أمني نشط وفعال بين الأجهزة الاستخبارية في كل من الدول العربية و(إسرائيل). وتطمح الدولة العبرية إلى تبادل المعلومات الاستخبارية المتعلقة بحركات المقاومة الفلسطينية، اعتماد آلية التنسيق التكميلي بين الجانبين، بحيث تقوم الأجهزة الأمنية والاستخبارية في الدول العربي بتحويل المعلومات الاستخبارية التي تقدمها (إسرائيل) حول أنشطة عناصر حركات المقاومة إلى عمليات اعتقال وتحقيق بغية الحصول على مزيد من المعلومات الاستخبارية فضلاً عن ردع ومعاينة حركات المقاومة الفلسطينية. وتطمح الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية في قيام الدول العربية في الكشف عن قنوات ومصادر تمويل حركات المقاومة الفلسطينية لسدّها وتضييقها. وتخطط الدولة العبرية لاستغلال العلاقات مع الدول الإسلامية بشكل عام من أجل التعاون في الحرب ضد تنظيم «القاعدة»، والحركات الجهادية في أرجاء العالم. وحسب تقييمات الأجهزة الاستخبارية الصهيونية فإن تنظيم «القاعدة» قد وضع الدولة العبرية على رأس قائمة الأهداف التي يسعى لضربها في العالم. وتقر الأجهزة الاستخبارية الصهيونية بوجود نقص كبير ومُخَل في المعلومات لديها حول هذا التنظيم، الأمر الذي يجعل من

نجاح (إسرائيل) في إقناع الدول العربية في تطبيع علاقاتها معها سيساعد حكومة شارون على إيجاد مناخ دولي يساعدها على تعزيز المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية، واستكمال تهويد مدينة القدس وإنجاز إقامة الجدار الفاصل في قلب الضفة الغربية بدون ممانعة دولية. وتشير هذه الدوائر إلى أنه سيكون من شبه المستحيل أن ينجح الفلسطينيون في تجنيد الرأي العام العالمي ضد توجه (إسرائيل) بتعزيز الاستيطان في الضفة الغربية، في الوقت الذي تواصل فيه الدول العربية المسارعة في تطبيع علاقاتها مع تل أبيب. وترى هذه الدوائر أن الدول الأوروبية والمنظمات الدولية التي كانت تبدي حساسية تجاه البناء في المستوطنات والجدار ستتغاضى عن ذلك، أو سيقبل اعتراضها عليه في ظل مبادرة الدول العربية على تطبيع علاقاتها مع (إسرائيل).

وتعتبر مؤسسة الحكم الإسرائيلية أن تطبيع الدول العربية لعلاقاتها معها سيدفع الفلسطينيين لتخفيض سقف توقعاتهم، وسيمثل رافعة ضغط على قيادة السلطة للتقارب مع التصور الإسرائيلي للتسوية. وتشير دوائر صنع القرار العبرية إلى أن هناك الكثير من المؤشرات على ممارسة الدول العربية الضغط على قيادة السلطة من أجل تغيير الكثير من المواقف «التقليدية»، المتعلقة بالتصور لتسوية الصراع، سيما في مجال دفع السلطة للتنازل بشكل مباشر أو غير مباشر عن حق العودة للاجئين. وها هو مدير عام وزارة الخارجية الإسرائيلي جاك بورسو يعبر عن ذلك بشكل حر وصريح، عندما قال إن هناك بعض الدول العربية تبدي استعداداً لقبول توطين اللاجئين الفلسطينيين. واللافت للنظر أن الدولة العبرية تخطط لتسوية قضية اللاجئين دون أن تدفع أي مقابل مادي وذلك عبر التطبيع. وحسب ما صرح به دوف فايسغلاس كبير مستشاري شارون فإن تل أبيب ستطرح على الدول العربية وبدخل أمريكي فاعل القيام بإعادة تأهيل مخيمات اللاجئين في قطاع

من ناحية فكرية وتاريخية لم يعتبر الليكود والحكومات التي شكلها التطبيع مع العالم العربي جزءاً من منظومة الأهداف الاستراتيجية التي يتوجب على الدولة العبرية السعي لتحقيقها. فالليكود الذي يستند إلى نظرية «الجدار الحديدي»، التي صاغها زئيف جابوتنسكي مؤسس المدرسة الصهيونية التصحيحية التي ينتمي إليها مناحيم بيغن الذي أسس الليكود، كان يرى أنه يتوجب على الدولة العبرية الارتكاز على القوة كضمانة وحيدة للبقاء في وسط العالم العربي. ولعل بنتسيون نتنياهو المؤرخ الصهيوني ووالد رئيس الوزراء الأسبق بنيامين نتنياهو يصوغ هذا المبدأ بشكل واضح عندما قال «عندما نغمد سيفنا في جرابه، تكون نهايتنا، التطبيع مع العرب هو بداية النهاية للمشروع الصهيوني على هذه الأرض». لكن على الرغم من كل ذلك فإننا نرى أن حكومة الليكود الحالية بزعامة أرييل شارون تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تستغل قوة الدفع الناجمة عن تطبيع خطة «فك الارتباط» من أجل دفع التطبيع مع العالمين العربي والإسلامي قدماً. ليس هذا فحسب، بل إن حكومة شارون باتت تعتبر التطبيع مع العالمين العربي والإسلامي هدفاً استراتيجياً يتوجب استفاد الطاقة الكامنة فيه حتى النهاية. ومن المفارقات المؤلمة أن حكومة الليكود التي تنوئى مقاليد الأمور في الدولة العبرية تعتبر أن التطبيع بالذات سيساعدها في تحقيق هدفها الاستراتيجي المتمثل في تصفية القضية الفلسطينية، وإنهائها، وهذا ما لا يتورع القادة الصهاينة عن الحديث عنه صراحة.

أهداف التطبيع

ويمكن هنا أن نشير إلى جملة الأهداف التي تسعى الدولة العبرية إلى تحقيقها من وراء التطبيع. ترى دوائر صنع القرار ومراكز الأبحاث المستقلة أو التابعة للأجهزة الاستخبارية في الدولة العبرية أن